مكتبة الإسكندرية .. من سراج إلى الفقى

بقلم:
د.ناجح إبراهيم

كافح د.إسماعيل سراج الدين 15 عاماً كاملة ليطور ويحفظ مكتبة الإسكندرية العريقة من كل العواصف خاصة بعد ثورة 25 يناير, ووصل بها إلي العالمية فجاوز زوارها المليون سنوياً, واعتمد علي الشباب، وربى كوادر مبدعة.. ثم جاء د.مصطفي الفقي، والحقيقة أنني لم أر أحداً تولى منصباً في مصر يمدح سابقيه ويكثر الثناء عليهم مثله, فقد ظل يمدح علناً أمام الجميع في سلفه د. سراج الدين, فهذه والله نماذج مصرية مشرفة في عصور غابت فيها الأخلاق والقيم. كلاهما عالم موسوعي، كلاهما أحسن الجمع بين الحضارتين العربية والغربية, وأحبا دينهما ووطنهما والناس, وإنصاف الآخر وحبه, والعدل مع الناس، لم يضبط أحدهما أبداً في ميادين الكراهية أو الحقد أو الإسفاف والابتذال التي عمت ربوع البلاد مؤخراً, كل منهما له شخصيته الفريدة التي تبني ولا تهدم وتبشر ولا تنفر، كما أثني الفقي على المهندس العبقري والمشاغب السياسي د.ممدوح حمزة الذي صمم هذا الشكل العبقري للمكتبة. ولقد أسعدني أن أرى مديراً بحجم وقامة د.الفقي يدعو أكثر من مائة مفكر مصري من جميع الاتجاهات ومعهم قسيسون وأزهريون كبار من ذوي الكفاءات النادرة في تخصصاتهم لكي ينصحوه ويسددوه ويرشدوه علناً إلى أفضل الطرق للنهوض بالمكتبة.د.الفقي مدير من طراز لم نعهده، قال "أريد النقد لا المدح، أنقدوني بأشد العبارات وأقساها ولا حرج عليكم, ويمنع التهنئة للمتحدثين ويطلب منهم الدخول مباشرة في الموضوع". قلت لنفسي:أعظم الأشخاص من كان موسوعياً في علمه متواضعاً في ذاته محباً للناس لا يحمل قلبه حقداً، وهذه والله ميزة الفقي التي جعلته سلطاناً متوجاً دون مناصب، وأرى أن إدارته للمكتبة هي أرفع من كل مناصب السياسة وأليق به وأجدر. معظم الحضور شددوا على أن تبتعد المكتبة عن السياسة وألا تحشر نفسها فيها، وحذروا من تحولها إلي فاعل سياسي لأنها ليست مؤهلة لذلك، فما دخلت مؤسسة علمية في السياسة إلا وتلوثت وأصابتها لعنتها فلا أدركت السياسة ولا بقيت في العلم والمعرفة. كما شددت أغلبيتهم على عدم أدلجة المكتبة، أو محاولتها إنشاء أيديولوجية جديدة، فشرك الأدلجة يقضي على العلم والعلماء, وآفاق الأدلجة دوماً ضيقة، أما الإنسانيات الجامعة فآفاقها رحبة واسعة تسع الجميع وتسعدهم, هي ملك لكل المفكرين والعلماء, تتيح لهم أن ينشروا إنتاجهم دون أن تتحيز لأحد منهم أو لفريق ضد آخر. كما توافق الجميع على أن المكتبة تعد منبر من لا منبر له, وعليها مسئولية إنشاء نخبة ثقافية وفكرية جديدة بعد أن جاوز معظم أعمار الحاضرين الستين والسبعين، وعلى المكتبة أن تترك فكرة البديل أو المصلح لكل عيوب مؤسسات التعليم, الثقافة, وغيرها فهذا يحملها ما لا طاقة لها به. ورفض الجميع فكرة القناة الفضائية التابعة للمكتبة لأنها ستفشل, والأفضل منها نشر المعرفة عن طريق أدوات التواصل الحديثة مثل Mobile application وغيرها, وألا تتشرنق المكتبة في القاهرة والإسكندرية, وإن لم تنشئ فروعا جديدة في أسيوط وأسوان والإسماعيلية والمنصورة لصعوبة ذلك فعليها أن تجرى بروتوكولات تعاون مع جامعات ومؤسسات مصرية وعربية وتستغل ساحات الجامعات في الامتداد الجغرافي غير المكلف للمكتبة، وتوازن بين دورها العالمي والمصري, وبين الاتصال المباشر مع الشباب وعبر الديجيتال وتمزج بينهما، وعليها أن تزيد نسبة زيارات المكتبة من مليون إلى عشرة ملايين زائر سنوياً، وشدد الجميع على استقلال المكتبة وقراراتها وأنها لا تتبع الحكومة أو أي جهة ولا تتلقى تعليماتها منها، وقد أكد د.الفقي في حزم أن استقلالية المكتبة هي مهمتي الأولى, وتاريخه وشخصيته تؤكد ذلك الاستقلال دون الصدام بأحد. وتوافق الجميع على ضرورة تسجيل تاريخ مصر الحديث عامة والثورات بصفة خاصة بطريقة محايدة وشفافة وعلمية وموضوعية, وكذلك تاريخ الحركات السياسية الإسلامية.